العرب
الجمعة 2019/11/01
السنة 42 العدد 11515

الصيادون في المغرب: لا تعطني سمكة بل شجعني أربيها

مشاريع طموحة لإنتاج المحار والطحالب من المزارع المائية لتعويض شح البحر

عدم احترام ضوابط صيد السمك أدى إلى استنزاف الثروات البحرية وأصبح الصيادون الصغار خاصة مهددين في رزقهم، لكن المملكة المغربية خططت لبعث مشاريع تربية السمك والأصداف والطحالب، هذه البادرة أعادت للصيادين الأمل في أن يظلوا ناشطين في المهنة التي وهبوها أعمارهم وبدل أن يصطادوا السمك صاروا يربونه لتأمين مستقبلهم.

السعيدية (المغرب) – يرى الصياد المغربي محمد بوعجرة في تربية الأحياء البحرية "بارقة أمل للخروج من الفقر"، في ظل تضاؤل الثروة السمكية بسواحل المغرب المتوسطية. ويأسف هذا الصياد المتواضع على "كونه لم يعد قادرا على ملء شباكه"، قائلا "ندفع ثمن أخطاء آبائنا".

وتعوّل تعاونية الأمل للصيد التقليدي في قرية رأس كبدانة (شمال شرق) على تربية المحار لضمان مستقبل أفضل لصيادين تراجع مدخولهم بسبب استنزاف الموارد السمكية.

ويراهن مستثمرون على التقنية نفسها لإنتاج طحالب حمراء تستعمل في صناعة الأدوية ومواد التجميل، في "مزرعة" للأحياء البحرية بحوض مارتشيكا غير البعيد عن رأس كبدانة غربا.

ويندرج هذان المشروعان ضمن المخطط الطموح؛ "المغرب الأزرق"، الذي أطلق سنة 2009، بهدف تحسين دخل الصيادين التقليديين و"الحفاظ على الثروة السمكية".

وأدى تزايد صيد السمك في رأس كبدانة حيث تضاعف عدد القوارب ثلاث مرات منذ التسعينات، إلى تراجع الثروة السمكية.

ويتحسر الصياد الستيني محمد بوعجرة على فترة كان دخله اليومي من صيد السمك يصل حتى 400 درهم (نحو 42 دولارا)، في حين لم يعد يتعدى هذا الدخل حاليا 40 درهما (نحو 4 دولارات)، ويقول "لا يمكنني العيش بهذا الدخل".

وتؤكد أرقام مديرية الصيد البحري تراجع حجم الصيد في جهة الشرق المطلة على الساحل المتوسطي، إلى نحو 7 آلاف ونصف طن سنة 2017 بينما كانت تفوق 14 ألف طن في سنة 2013. وتقدر نسبة هذا التراجع في باقي مصايد الساحل المتوسطي غربا بنحو 30 بالمئة، بحسب المصدر نفسه.

ونبّه تقرير حديث للمجلس الأعلى للحسابات (هيئة رقابية) إلى "الإفراط في استنزاف الموارد السمكية، مدينا "عدم احترام القيود المفروضة على مراكب الصيد وفترات الراحة البيولوجية" التي يمنع الصيد خلالها، وكذلك "عدم مراعاة الحصص المخصصة للصيد".

وتلعب الوكالة الوطنية لتنمية الأحياء البحرية دورا كبيرا في تطوير وتنمية قطاع الأحياء البحرية في المغرب، وتؤمن موقعها كفاعل رئيسي في القطاع.

وقد وضعت الوكالة استراتيجية وطنية لتنمية القطاع في أفق عام 2020، خاصة وأن المغرب يتوفر على 3500 كلم من السواحل، وينعم بموقع استراتيجي بين أفريقيا وأوروبا والشرق الأوسط، وعلى مقربة من الاتحاد الأوروبي، الذي يعد أكبر سوق استهلاكية لمنتجات تربية الأحياء البحرية، كما أن الطلب الداخلي على المنتجات البحرية يشهد أيضا نموّا مطردا.

ويمثل قطاع الصيد البحري موردا هاما للدخل بالنسبة للمغرب حيث قاربت قيمة صادرات المنتجات البحرية 22 مليار درهم في 2017 (نحو ملياري دولار). وتعادل هذه النسبة حوالي نصف قيمة الصادرات الزراعية إجمالا، و10 بالمئة من مجموع صادرات المملكة.

ويوضح الصياد ميمون بوعسو، أن "السمك يتناقص بفعل التغيرات المناخية وتدهور البيئة ليس فقط في المغرب بل في العالم كله، لا بد من إيجاد بدائل لضمان لقمة العيش.

ويرأس بوعسو (47 سنة) تعاونية للصيد التقليدي في مارتشيكا تختص في تربية الطحالب الحمراء على امتداد حوض تبلغ مساحته 11 هكتارا.

ويتابع معربا عن ارتياحه لكون "الطحالب تعوضنا عما نفقده في الصيد"، راجيا أن يتطور المشروع نحو الأفضل.

وتشغّل هذه التعاونيات ثمانية أشخاص يضاف إليهم عمال موسميون في فترتي زراعة الطحالب وجنيها.

ويستطرد عبدالعزيز بنحمو (50 سنة) "تراجعت الموارد السمكية، لأن الصيادين لم يكونوا يحترمون فترات الراحة البيولوجية (...) الأمور بدأت تتغير اليوم".

الصيادون ينتظرون جني ثمار مزارع الصدفيات الممتدة على نحو 5 هكتارات من أصل 15 هكتارا خصصت لتربية الأحياء البحرية

نجني السمك ولا نصطاده

رزق جديد

وأصبح هذا الصياد السابق مسؤولا عن الإنتاج في ضيعة أكوا مضيق بجهة تطوان (شمال غرب) على الساحل المتوسطي.

وتوظف هذه المؤسسة التي تنتج أسماك القاروص في أحواض بحرية، 24 عاملا. وتعتبرها الوكالة الوطنية لتنمية تربية الأحياء البحرية "نموذجا" يحتذى به.

وتطمح الوكالة إلى أن تتكرر مثل هذه التجربة في مناطق أخرى حيث يوجد شريط ساحلي شاسع مطل على واجهتي البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي.

ولا تزال قوارب الصيد تلقي شباكها في عرض ساحل رأس كبدانة لصيد الأخطبوط، النوع الأكثر وفرة في المنطقة، في انتظار البدء في جني ثمار مزارع الصدفيات الممتدة على نحو 5 هكتارات من أصل 15 هكتارا خصصت لتربية الأحياء البحرية.

وأطلقت تعاونية مكونة من 35 عضوا هذا المشروع قبل 5 سنوات، يأملون في البدء بتسويق المنتوج خلال العام المقبل.

وحددت استراتيجية "أليوتيس" الحكومية (استراتيجية لتنمية أنشطة الصيد البحري) ضمن مخطط "المغرب الأزرق"، هدف إنتاج 200 ألف طن من الأحياء البحرية في أفق سنة 2020. بيد أن الإنتاج لم يتعد 700 طن في السنة الماضية، بحسب الوكالة الوطنية لتنمية تربية الأحياء البحرية. وما زال هذا القطاع يواجه تحديات ومُعيقات عدة، أهمها التهديدات المناخية التي تتعرض لها مزارع الأحياء المائية؛ الأمر الذي يتطلب دعما خاصا لتغطية المخاطر، إضافة إلى تعزيز التمويل وحوافز لتشجيع الاستثمار في هذا القطاع.

وانتقد التقرير الأخير للمجلس الأعلى للحسابات التأخر في تطوير هذا القطاع، مشيرا إلى أن "بعض الأهداف الاستراتيجية لم يتم بلوغها".

وبعد دراسات تقنية استغرقت سنوات، يوجد نحو 150 مشروعا حاليا في المتوسط "في مرحلة الانطلاق" باستثمارات خصوصية. ويوضح المسؤول في الوكالة مصطفى أمزوغ إلى أن الهدف يتمثل في بلوغ 150 ألف طن من منتجات الأحياء البحرية.

لكن التأخر في بلوغ الأهداف المعلنة لا يمنع محمد بوعجرة من الشعور بالارتياح لأن مشروع تربية الصدفيات في رأس كبدانة "غيّر العقليات".

يقول، "لم يكن أحد يحترم البيئة في الماضي، لكن المياه اليوم أصبحت أكثر صفاء"، بفضل تحاليل أسبوعية لمراقبة حالة المحار.

وتوصي منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة بتطوير تربية الأحياء المائية وتنميتها لما تقدمه من مساهمة كبيرة في الأمن الغذائي العالمي، وتشدد على ضرورة تشجيع التنمية المستدامة للقطاع، خصوصا في البلدان النامية، من خلال تحسين أداء القطاع في المجال البيئي، ومراعاة الجوانب الصحية والأمن الحيوي.

صوماليون ينعمون بفسحة سلام في مطعم عائم بمقديشو

مقديشو – يتلذّذ أحمد يوسف بوجبة من ثمار البحر الطازجة على متن مركب محاط بمياه فيروزية حُوّل إلى مطعم عائم، ويكاد الشاب لا يصدّق أنه في مقديشو.

على مسافة قريبة عند شاطئ ليدو الرملي الأبيض يلعب أطفال بالكرة فيما يتنزه سكان محليون أو يسبحون في المياه بمنأى عن أسماك القرش الكثيرة فيها.

رغم الهجمات الكثيرة التي تنفذها حركة الشباب الإسلامية، فإن الوضع قد تحسن نسبيا، ما جعل الصوماليين يسعون إلى ممارسة المزيد من الأنشطة الترفيهية خارج منازلهم على شاطئ ليدو الشهير برماله البيضاء والذي يجتذب الحشود.

في يناير، صنع عبدالقدير محمد إبراهيم وهو مقاول صومالي، مركبا من طابقين، وحوّله إلى مطعم عائم حيث يمكن للزبائن التمتع بالهواء البحري و طلب الشاي أو المشروبات الباردة والتلذذ بثمار البحر.

يروي أحمد يوسف وهو زبون منتظم، "أحيانا أشعر بأنني لست في مقديشو. فهنا هدير الموج والمحيط الجميل فيما أتلذذ بمنتجات البحر على المركب. آمل أن تفتح أماكن أخرى كهذه في المستقبل".

وصاحب "لا لانتيرنا" الذي كان مقيما في إيطاليا؛ سلطة الاستعمار السابقة، وعاد إلى بلاده الآن، حاول إطلاق مشاريع عدة في مقديشو من بينها وكالة سفريات، لكن من دون أن ينجح.

يقول إبراهيم، "عندما رأينا أن ثمة دولا متطورة لديها مطاعم على متن مراكب للسياح، أتتنا فكرة إقامة مطعم حيث يمكن للناس تمضية بعض الوقت، وبات لدينا الآن مطعم عائم في مقديشو". وبسبب ضيق المكان، لا يتسع المركب للمطبخ لذا يتقدم الزبائن بطلباتهم قبل يومين ليحضر الطعام على اليابسة وينقل إلى المركب.

وللمحيط نزواته أحيانا ما يضطر الزبائن إلى التمسك بأطباقهم على ما يؤكد إبراهيم. وعندما تكون المياه هادئة يبحر المركب قبالة شواطئ مقديشو. ويؤكد، "لقد بنيت المركب مع أصدقاء لي وهو يتسع لأربعين شخصا في الوقت الراهن، لكن أنوي زيادة قدرة الاستيعاب لتصل إلى خمسين شخصا. البحر قاتم اللون ليلا وما من مركب آخر في المياه على شاطئ ليدو لذا سميته "لا لانتيرنا" أي المصباح بالعربية".

وفتحت الكثير من المطاعم على طول شاطئ ليدو منذ طردت حركة الشباب من العاصمة التي شوهتها المعارك، في العام 2011.

ومع تحسن الوضع الأمني الذي يبقى مهتزا رغم ذلك، عاد إلى البلاد بعض صوماليي الشتات الذين كانوا قد غادروها بسبب الفوضى التي غرقت فيها إثر سقوط نظام سياد بري في العام 1991. وعاد شاطئ ليدو الآن وهو من الفضاءات العامة القليلة في العاصمة، ليستقطب الزوار.

ولا يأخذ الكثير من أصحاب المطاعم في اعتبارهم خطر القرصنة، وهم يضعون خططا لمشاريعهم، لكن إبراهيم كان ملزما بالتفكير في ذلك عندما قرر افتتاح مطعم لا لانتيرنا العائم قبالة شاطئ ليدو.

وقال "فكرنا بأن القراصنة قد يختطفون القارب ويستخدمونه للهجوم على سفن الشحن فجعلنا القارب بطيئا"، موضحا أن ذلك لن يجعله مطمعا في أعين القراصنة لاستخدامه في أي هجوم.

وهناك إجراءات أمن إضافية ونقاط تفتيش لحماية الشاطئ الذي يمتد على مسافة كيلومترين ونصف من أي هجمات محتملة قد ينفذها إرهابيون؛ وبذلك يشكل الشاطئ ملاذا بعيدا عن العاصمة التي تشهد أعمال العنف والمعارك والهجمات.

يقول إبراهيم "أمن زبائننا وسلامتهم هي الهم الأكبر. نحرص على تفتيش الجميع قبل صعودهم إلى المركب". وأضاف "آمل أن يقدم آخرون على الخطوة نفسها فالناس بحاجة إلى فرص ترفيه عن أنفسهم بعد يوم عمل شاق وضغط نفسي. تزداد الحجوزات يوما بعد يوم. ونهدف أيضا إلى جذب مستثمرين وسياح".

إجراءات أمنية لحماية الشاطئ الذي يمتد على مسافة كيلومترين ونصف الكيلومتر من أي هجمات قد ينفذها إرهابيون

وتقول فادومو حمد محمد الصومالية المقيمة في بريطانيا في أول زيارة لها إلى المطعم العائم، "هذا المكان جميل جدا وثمة تحسن نسبي في وضع البلاد. تناولت الغداء اليوم على متن هذا المركب في هذا المحيط الجميل. تجربة رائعة ما كنت أتصور أنها ممكنة الآن في مقديشو".

يمضي احمد يوسف الذي يعمل في المجال الإنساني غالبية أيام العطلة الأسبوعية على شاطئ ليدو، وغالبا ما يأتي لتناول العشاء على متن "لا لانتيرنا".

يقول"الضغط النفسي يزول ما إن أصعد على متن المركب. فأنا لا أخشى التفجيرات والهجمات الانتحارية لأننا بعيدون عن المدينة ونستمتع بالمحيط".

السعادة تضمد جراح الناس